حركة القبائل الليبية ومقاومتها للاحتلال البيزنطي في شمال أفريقيا من خلال ملحمة الحرب الليبية الرومانية للشاعر كوريبوس

د. مفتاح محمد التاجوري

قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا
m.altajory@asmarya.edu.ly

ملخص البحث

يهدف هذا البحث لإعادة دراسة وتوزيع حركة القبائل الليبية في العصر البيزنطي، من خلال المجال الجغرافي الكبير الذي تسيطر عليه هذه القبائل من وادي النيل شرقا إلى العمق التونسي في الغرب، كما تكمن أهمية دراسة حركة وهجرات القبائل الليبية في تسليط الضوء على حالة الصدام الكبير بينها وبين الاحتلال البيزنطي الذي ظل في حروبه الطويلة مع تلك القبائل لاسيما في السنوات الأولى من وجوده بالشمال الأفريقي. هذا وتعد ملحمة الحرب الليبية الرومانية (البيزنطية) للشاعر الأفريقي كوريبوس أحد أهم المصادر البيزنطية لدراسة القبائل الليبية وعاداتها وتقاليدها فضلاً عن صراعها الطويل مع القوات البيزنطية في منتصف القرن السادس الميلادي. وسيتم الاعتماد على المنهج السردي التحليلي في عرض تاريخ تحركات القبائل الليبية وهجراتها المتكررة شرقاً وغرباً وإلى مناطق الدواخل إلى عمق الصحراء، إضافة إلى مقارنة نصوص هذه الملحمة الشعرية مع المصادر البيزنطية الأخرى.

الكلمات المفتاحية: القبائل الليبية، الاحتلال البيزنطي، هجرات، كوريبوس.

المقدمة

لقد مرت كتابة التاريخ البيزنطي بمراحل مختلفة ومعقدة، كانت الكتابات والنصوص الواضحة من خلال الأحداث والوقائع قليلة أو تكاد تكون نادرة في الكثير من الفترات الزمنية، لكن الكتابات الأدبية الكلاسيكية الأخرى قد عوضت هذا النقص الكبير من المادة التاريخية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، ولعل في نصوص الشاعر الأفريقي ما يشفي الغليل في تسجيل أسماء وعادات وديانة القبائل المحلية في الشمال الأفريقي في العصر البيزنطي، بل سبقته بتسجيل الكثير من المعلومات الخاصة بهذه البلاد في العصر الوندالي وما قبله.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في تتبع رصد الشاعر كوريبوس لتاريخ الصراع الروماني "البيزنطي" الليبي من الحروب والمعارك الطويلة والكثيرة التي خاضتها القبائل الليبية بعد عملية التوسع لمناطق نفوذها منذ نهاية العصر الوندالي، وحالة الصدام الحتمية التي فرضها المحتل الجديد في شمال أفريقيا.

أهداف البحث

هذا ويهدف البحث للإجابة عن الأسئلة الكبرى عن حقيقة المجال الجغرافي لتوزيع هذه القبائل، وعن القيمة التاريخية لنصوص هذا الشاعر في ملحمته التي حذر الكثير من المؤرخين في الركون والنقل منها دون تدقيق وتمحيص، فضلاً عن الإضافة المهمة لهذه الملحمة في صياغة ذلك الصراع الطويل بين المحلي والوافد، والتي جاءت ملحمة هذا الشاعر لتخلد انتصارات الجيوش البيزنطية على القبائل الليبية.

منهجية البحث

لقد اتبع الباحث في هذا البحث المنهج السردي التحليلي للمادة الإخبارية التي سجلتها ملحمة كوريبوس، بالرغم من التقاطعات الكبيرة لكل ماهو تاريخ وأسطوري.

عرض عام لملحمة الحرب الليبية الرومانية

لا يُعرف الكثير عن الشاعر كوريبوس إلا من خلال عملين شعريين له وهما: ملحمة الحرب الليبية (De Bellis Libycis) أو ما عرف أحيانا باسم اليوحانية (Johannis)، وقصيدة طويلة في مدح الإمبراطور جستين الثاني(In Laudem Justini Augusti Minoris)، ومن المرجح أن كوريبوس مغربي الأصل والمولد وذلك من خلال اللقب المعطى له وهو "الأفريقي"Africanus ، وكذلك لعلمه الواسع ببلاد المغرب القديم، وقبائله وكغيره من أبناء شمال أفريقيا في تلك الفترة لابد أنه تعلم اللاتينية وأتقنها، وربما صار فيما بعد مدرساً حيث أُعطي لقب النحوي (Grammaticus) في مخطوطة مدريد، وقد لا يكون اشتغل بالتدريس وإنما لقب بهذا اللقب لكثرة المحسنات البديعة والقدرة اللغوية التي أظهرها في ملحمته وهو ما يمكن ترجيحه إذا قورنت الملحمة بغيرها من الكتابات اللاتينية المعاصرة لهذا الشاعر(كوريبوس، الملحمة، ص15-17). كما أن كوريبوس كان يمثل التعليم التقليدي لأفريقيا الرومانية، حتى أنه حاكى واتخذ من فرجيل نموذجاً لكتابته اللاتينية، ومثل صورة واضحة لرعاية الأدب اللاتيني واستمراره في أواخر الفترة الوندالية (Cameron, 1996, pp.13-14)، إضافة إلى أنه كان يحاكي هوميروس في الإلياذة، إذ مزج بين الواقع والخيال في شعره (عبد القادر أحمد اليوسف، 1966م، ص88)، من المرجح أن ملحمة كوريبوس اللاتينية الطويلة المكونة من 4700 بيت من الشعر قد انتهى الشاعر من كتابتها في سنة 550م، وهي التي جاءت تخليداً لمعارك القائد البيزنطي يوحنا تروجليتا ضد القبائل الليبية (Moderan, 1991, p.480; Vasiliev, 1973, vol. 1, p.186)). وقد ألقيت الملحمة على الأرجح في احتفالات النصر بقرطاجة في سنة 550م، كما يظهر من مقدمة المؤلف وكتابه

الأول (كوريبوس، الملحمة، ص16)، وقد ضمت ملحمة كوريبوس ثمانية فصول كان موضوعها الرئيس معارك القائد تروجليتا بين عامي 546م-548م (Kern ,2007,p.97).

جاءت ملحمة الشاعر كوريبوس الأفريقي الأصل، الروماني الثقافة والتعلم، لتتوج انتصارات الجنرال البيزنطي يوحنا تروجليتا في أربعينيات القرن السادس الميلادي ضد القبائل الليبية ذات الطابع البدوي أو الصحراوي؛ إذ يُعتقد أن ظاهرة توسع هذه القبائل على حساب الوندال في نهاية عهدهم، ومن بعدهم البيزنطيين كانت تمثل أحد العوامل الرئيسة في تأليف هذه الملحمة الشعرية التي تعد مصدراً لا غنى عنه لمعرفة أحوال تلك القبائل الاجتماعية والدينية على وجه الخصوص (Moderan1991, p.489-490)

هذا وتتمحور شخصيات هذه الملحمة ويدور توزيع أدوارها بين الشخصيات المحلية البربرية والليبية على وجه الخصوص، وبين تلك الشخصيات الرومانية "البيزنطية" التي تمثلت في القادة العسكريين بعدما تعرضت المنطقة لخطر انهيار السلطة البيزنطية العسكرية والسياسية على السواء أمام اجتياح القبائل المحلية. ولعل أشهر هؤلاء الزعماء والقادة المحليين والبيزنطيين الذين تصدروا ملحمة كوريبوس هم : أنتالاس وآيرنا وكاركاسان من زعماء القبائل الليبية و سيرجيوس وسولومون جون تروجليتا من قادة الجيش البيزنطي، على أن شخصية القائد البيزنطي جون تروجليتا تظل الشخصية الرئيسة التي تدور حولها كل الشخصيات الأخرى البيزنطية منها والمحلية والتي لأجلها كتب الشاعر كوريبوس ملحمته وخلد فيها معارك هذا القائد البيزنطي ضد القبائل الليبية، وذلك لأن اختيار هذا القائد من قبل الإمبراطور جستنيان لإعادة الأمن والاستقرار لشمال أفريقيا كانت نتيجة لشجاعة وحكمة تروجليتا في حروبه وانتصاراته الكبيرة على الفرس فضلا عن كونه القائد الأعلى للجند المشاة في الحملة البيزنطية لاستعادة الشمال البيزنطي سنة 533م (كوريبوس، الملحمة، ص 25-26؛ Procopius, History of the Wars., III.XI.8.).

ومن الموضوعات الكثيرة الذكر في ملحمة كوريبوس عرافة آمون أي طقس التنبؤ الخاص بهذا الإله الذي كانت له شهرة كبيرة طوال عدة قرون، وإن كان قد تم التخلي عنه مع بداية العهد المسيحي، إذ يحكي كوريبوس أن في عهده قد جاء أميران من الأهالي لاستشارة إله الواحة، غير أنها من قبيل الخيالات الشعرية. فما قاله عن الطريقة التي أعطيت بها التنبؤات كان مستقى من الأوصاف الكلاسيكية لعرافات أخرى، وقوله ليس متوافقاً مع ما نعرفه من جهات أخرى عن عرافة آمون(اصطيفان أكصيل، 2007،ج

6،ص 148)، وحقيقة الأمر لم تكن هذه النبوءات حكراً على المعتقدات الوثنية والقبائل الليبية فحسب، بل كان هناك حالة من الخيال الديني من رؤى وتنبؤات رأى البيزنطيون فيها أنها صادقة، قد سادت فترة الاستعداد لاحتلال شمال أفريقيا، وهي التي ذكرت آنفاً، بل إن بروكوبيوس في كتابه "التاريخ السري" كذلك لا يتغاضى عن ذكر أن جستنيان وزوجته ثيودورا كانا ممن يمارس أعمال السحر والتنجيم، ويصفهما في مواضع كثيرة بأنهما "كانا زوجين من الشياطين"(Procopius, *Secret History*,12). ومع ذلك كله؛ فإن التقاليد والطقوس الوثنية القديمة ظلت مستمرة في منطقة شمال أفريقيا وبين قبائلها؛ إذ لدى البربر قاعدة كبيرة جداً من التدين التي تبحث عن سلامة الروح في الطقوس السحرية الدينية المنحدرة من المذاهب الأفريقية القديمة التي سبقت دخول عبادة الأوثان والآلهة الفينيقية والرومانية أي قبل المسيحية والإسلام (موريس لومبارد، 1979، ص80)، والمرتبطة بطبيعة الحال إلى حد كبير بعبادة آلهتهم من القمر والشمس والزهرة، أي العائلة الإلهية التي عرفت باسم "الثالوث الكوكبي المقدس"، وأن الحيوانات من الأكباش والثيران التي يُصور الشكل الكروي بين قرونها ممثلاً الهلال والقرص رموز إله القمر والشمس، يمكن تسميتها بـ "الحيوانات المتوجة"(عفراء الخطيب، 2003م، ص 55،51). هذا ويشير هيرودوت بأن كل الليبيين كانوا يقدمون القرابين للشمس والقمر باستثناء هؤلاء الذين يسكنون على ضفاف بحيرة تريتونس، وهو الأمر الذي أكده بليني وديودور وابن خلدون كذلك".(Herodotus, *The histories*,vol.2,4.188)، هكذا فإن المستوى الأكثر عمقاً في الفقرات التي تتناول "عبادة آمون" كان يمثل دوراً محورياً في ملحمة كوريبوس من خلال فكرة رئيسة هي المعتقدات الوثنية التي يعتنقها البربر، وفي الوقت نفسه تصوير مشهد النصر للقائد تروجليتا والتأكيد على فوز البيزنطيين وتقواهم كذلك (Cameron, 1996, p.174)، ولعل أكثرها وضوحاً ما جاء على لسان القائد كاركاسان الليبي: "إن العون الذي قدمته لنا آلهتنا لم يتبدد كله فوق هذه الحقول ليست هذه مشيئة آمون ولا مشيئة قورزيل الذي يندب قدسيته التي انتهكت"(كوريبوس، الملحمة، ص131)، وكذلك على لسان قائد الناسامونيس: "إن آمون المتنبئ أعلن هذا أمام قبائلنا وقال: إن الليبيين سيفوزون بسهل بيزاكيوم بالحرب وأنه يسمح للقائد كاركاسان بأن يسير منصوراً وسط الشعب الليبي، وأن يعيد السلام للعالم، وبهذه النبوءة دفع آمون، إله الحرب عدداً لا يحصى له من القبائل"(كوريبوس، الملحمة، ص174).

الأهمية التاريخية لملحمة كوريبوس:

وسبق الإشارة إلى أنه يُعتقد أن ظاهرة توسع هذه القبائل الليبية على حساب الوندال في نهاية عهدهم، ومن بعدهم البيزنطيين كانت تمثل أحد العوامل الرئيسة في تأليف هذه الملحمة الشعرية التي تعد مصدراً لا غنى عنه لمعرفة أحوال تلك القبائل الاجتماعية والدينية على وجه الخصوص.

إن شح المصادر البيزنطية المتعلقة بالولاية الأفريقية جعل الكثير من المؤرخين إما أن يلتزم الصمت على سبيل الحيطة والحذر حتى لا ينجرف وراء التكهنات، أو أن يقدم عدداً من الفرضيات المحفوفة بالشكوك، على أن الاعتماد على النصوص قد تمثل بقوة في الاستناد إلى مؤلفات المؤرخ بروكوبيوس وقصائد الشاعر كوريبوس(Camps, 1984, p.188)، وإن كان يمكن وصف ملحمة كوربيوس بداية بأنها الأكثر إلماماً والأدق تفصيلاً عن حياة السكان المحليين من القبائل الليبية وطبيعة معائشهم وعاداتهم وتقاليدهم، ما هي الإضافة الأدبية والتاريخية التي تركها هذا الشاعر في ملحمته الشعرية وأثرى بها تاريخ الشمال الأفريقي البيزنطي؟

تمثلت أهمية هذه الملحمة التاريخية إلى حد كبير في محاولة ترسيخ النصر البيزنطي الذي تحقق في شمال أفريقيا على الوندال، ومن ثم القضاء على ثورات القبائل المحلية، فكانت ذاكرة جماعية خدمت المشروع السياسي والعسكري البيزنطي في المنطقة، ومزج فيها الشاعر بين الواقع والخيال، كما استحضر الأسطورة كذلك في سرد تاريخي وشعري لإضفاء المشروعية وتبرير حكم الإمبراطورية البيزنطية ووجودها(Kern, 2007, pp.97–105)، ويجب ألا ننسى أن هذه القصيدة الطويلة تحتوي على بيانات ومعلومات مهمة جغرافية و اثنوغرافية لهذه البلاد فضلاً عن الحروب الأفريقية البيزنطية و الوندالية(Vasiliev, 1973, vol. 1, p.186)، وبناء عليه فهى تُعد بالفعل مصدراً أدبياً وتاريخياً في آن واحد(عبد القادر أحمد اليوسف، 1966، ص88).

إن ما يميز الملحمة بما تحويه من سجل إثنوغرافي في كتابها الثاني هو استعراض القبائل والإمارات المورية التي دخلت في صراع أو تحالف مع السلطة البيزنطية، وتجلت من خلال الكثير من العادات والتقاليد المعيشية في هذه القبائل، بل حتى في طقوسها الدينية الوثنية، ولعل في تتبع النصوص الخاصة لقبائل لواته وهوارة في هذه الملحمة كفيل لتشكيل صورة تاريخية عن أسياد المناطق الداخلية لبلاد المغرب القديم، إلا أن أهمية هذا المصدر لا يعدو أيضا كونه نصا أدبيا جعل الفصل بين المادة الخبرية والصورة

الشعرية أمرا مستعصيا، مع ما يمكن أن يؤخذ على الكثير من نصوص هذه الملحمة أصدارها أحكاما سياسية مسبقة وما تحويه من مظاهر الحقد والكراهية لكل ما هو موري أو محلي (يوسف عيبش،2009م، ص 18).

كانت ملحمة كوريبوس إضافة تاريخية وأدبية مهمة في التعريف بالقبائل المحليـــة "الليبية"، وبخاصـة قبائل ولاية تريوليتانيا وبيزاكيوم ونوميديـا التي تحـدث عنها كوريبوس، وقد علــق مويدر (Moderan) على هذه القبائل وحروبهـا مع الونـدال والبيزنطيـين وأهم تمركزاتها وسكانها (Moderan,1991,pp.479-490). كما أن كوريبوس نفسه كثيراً ما أشار إلى العدد الذي "لا يحصى" من هذه القبائل وزعمائها، مع أخذ الحيطة والحذر في عدم الانسياق وراء هذه المبالغات لأعداد القبائل المحلية الكبيرة والكثيرة جداً، وهي المبالغات التي تخدم بطبيعة الحال الهدف الرئيسي من هذه الملحمة ألا وهو النصر المؤزر للقوات البيزنطية على هذه القبائل (كوريبوس، الملحمة، ص45، 55، 104).

ومن ناحية أخرى يتضح جلياً غياب الخلافات اللاهوتية في مصنف كوريبوس وهي الخلافات التي كانت تعصف بالإمبراطورية البيزنطية والشمال الأفريقي على السواء(Conant,2004, p.446)، في حين طغت على هذه الملحمة العمليات العسكرية والحروب بدرجة أكبر، وإن كان بطل كوريبوس في ملحمته الذي أعاد استقرار الولاية البيزنطية الجديدة وحرر الأفارقة الرومان يظل مشرقياً ويتحدث اليونانية، فإنه يمكن التأكيد مجدداً على أن هذه القصيدة التي كتبت باللغة اللاتينية قد خدمت الوجود البيزنطي بثقافته اليونانية، وكانت تدلل كذلك على استمرار الثقافة اللاتينية حتى منتصف القرن السادس في المنطقة، فضلاً عن توصيف اليوحانية من قبل الكثير من المؤرخين بأنها: "ملحمة تاريخية جغرافية". هذا وتبقى القصيدة اليوحانية لكوريبوس مع الشعر المسيحي الذي نظمه معاصره فيركوندوس (Verecundus) آخر ما وصل من شعر لاتيني من أفريقيا الرومانية. (Cameron,1996, pp.14, 21).

إن المصدر التاريخي الوحيد الذي يحظى بأهمية كبيرة عند دراسة الآلهة المحلية في الفترة الأخيرة من التاريخ البيزنطي في شمال أفريقيا هو ملحمة الشاعر كوريبوس، وبالرغم مما يمكن أن يقال بأنها ملحمة شعرية ذهبت بعيداً عن الواقع التاريخي وجاءت محاكاة لملاحم كلاسيكية أخرى كالتي حاكها فرجيل، فإن هذه الملحمة يمكن إدراجها في إطار الملحمة التاريخية(Kern, 2007, pp.97-98) ، إذ استندت إلى وقائع وأحداث تاريخية كثيرة جاءت مقاربة جداً للنصوص التاريخية التي سجلها المؤرخ بروكوبيوس، بل إن بعض نصوص هذه الملحمة يذهب بعيداً إلى ما قبل الاحتلال البيزنطي بعشرات السنين من خلال ما

عرضته من مقاومة القبائل الليبية للوجود الروماني منذ زمن ماكسيميان مع قبيلة لواتة تحديداً(محمد الطاهر الجراري ،1982م، ص 71-72) وكأن الشاعر من خلال هذه الملحمة أراد عن قصد ووعي تسجيل أمجاد الإمبراطورية الرومانية والحروب الرهيبة مع القبائل الليبية، ولتبقى ملحمته الشعرية ذاكرة للأجيال القادمة(Jerary, 1988 , pp.29-30).

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أسباب اختزال الحياة الدينية للقبائل المحلية الوثنية إلى حد كبير في ولاية طرابلس وامتداداتها في الشرق، وكذا الغرب حتى الجنوب التونسي، وهو ما يمكن أن يُحدد بشكل كبير في الكتابات والنصوص التاريخية التي تفردت بها أهم المصادر الأدبية، وهي مؤلفات بروكوبيوس وملحمة كوريبوس التي أتت على ذكر هذه القبائل وعاداتها وديانتها وحروبها في ولايتي تريبوليتانيا وبيزاكيوم، مع بقية المناطق الصحراوية الليبية في الجنوب والشرق، دون التطرق بالتفصيل إلى ولايات غرب الشمال الأفريقي ، نوميديا وموريتانيا.

جاءت ملحمة كوريبوس "الحرب الليبية الرومانية" في أطرها السياسية العامة تكريماً للجيش البيزنطي الذي خاض حروبه ضد الوندالبين، ومن ثم القبائل الليبية في وقت لاحق، ومع وصف البربر بالشرور مقابل البيزنطيين بالتقوى والصلاح، فإن الحقيقة هي إنصاف للمسيحية وكره ومقت للوثنية، وجاء هذا الإنصاف مع مشروع الشرعية السياسية التي تمثلها الإمبراطورية البيزنطية التي تغنى بها كوريبوس وسجل ملحمته خدمة لأمجاد روما وانتصارات الرومان في سرد واستحضار دائم لتاريخ تلك الأمجاد والانتصارات بما يخدم في محصلته شرعية استعادة جستنيان لشمال أفريقيا(Kern, 2007, pp.100-104). وكانت الأيديولوجية الرومانية في هذه الملحمة التي ظهرت على وجه الخصوص في خطب تروجليتا، خير ترجمة لهيمنة الإمبراطورية وسلطتها. ولعل أولى السمات المميزة لهذه الأيديولوجية تكمن في غلبة النزعة الاحتفالية والشعور بتضخيم الذات، والعنف الذي يعد سمة أخرى لصيقة بهذه النزعة الاحتفالية لدى الرومان، على أن المبدأ الأساسي يكمن في الرعب الذي يستلهم من إله المسيحيين وخليفته على الأرض وهو الإمبراطور (Nsiri, 2012, p.228).

حركة القبائل الليبية وهجراتها في ظل حكم الإمبراطورية البيزنطية:

يحدد بليني وجود 516 قبيلة أو شعبا يسكنون الشمال الأفريقي بين نهر الوادي الكبير بالجزائر وبين مذبح الأخوين فيلاني إلى الشرق من خليج سرت الكبير، وذلك بعد استبعاد الولاية الموريتانية و

القورينائية، ويحصر هذا العدد الكبير من القبائل لاحقا في 25 قبيلة كبيرة أو تجمعا قبليا فقط، على أن التجمعات القبلية الرئيسة أو الاتحادات العظمى المستوطنة لإقليم طرابلس حسب ما أشارت إليه مصادر ما قبل العصر البيزنطي هي من قبائل المكاي والناسامونيس والجرامنت والجيتولي، فضلا على بعض التقسيمات الأخرى التي تعود للمصادر اليونانية حول تلك القبائل من أكلة اللوتس أو لوتوفاجي، و الليبي فينيقيين (د.ج.ماتينغلي، 2009م، ص81،76–88) (ينظر: خريطة رقم (1))

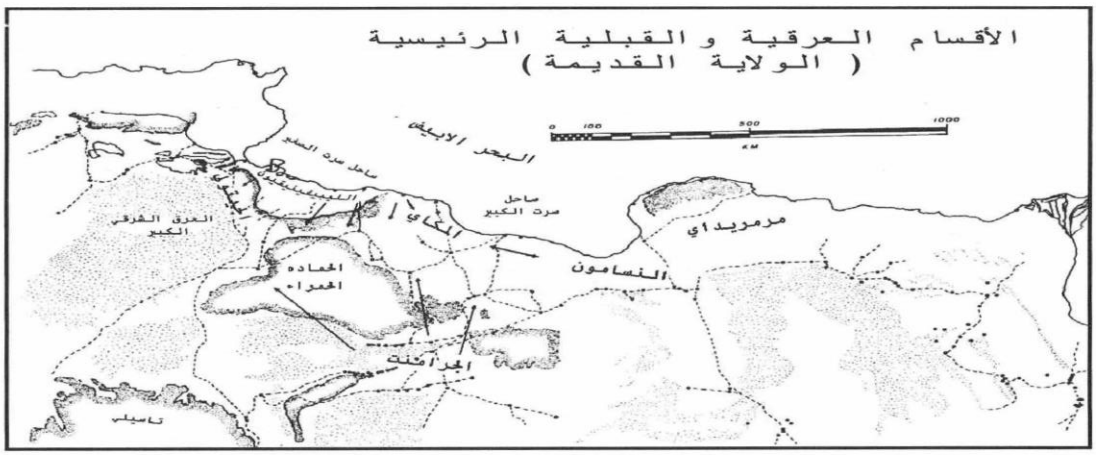

خريطة 1 الاتحادات القبلية بإقليم طرابس في العصر الإمبراطوري) د.ج.ماتينغلي،2009م ص89)

تعد هجرة القبائل الليبية من شرق ليبيا الي غربها مع بداية الاحتلال البيزنطي هو استمرار لتلك الهجرات المشرقية من شبه الجزيرة العربية على وجه الخصوص منذ آلاف السنين مع اختلاف أسباب ودوافع حركة وهجرة تلك القبائل السياسية والاقتصادية وغيرها، وإن كان تحرك تلك القبائل داخليا أكثر وضوحا في المصادر الرومانية والبيزنطية من خلال رصد تلك الهجرات من الشرق إلى الغرب والتي تمثلت ذروتها خلال فترات الصراع والحروب بين القوات الرومانية والبيزنطية مع هذه القبائل.

لقد وظف العديد من المؤرخين ظاهرة العدد الكبير من القبائل الصحراوية التي تستعمل الجمال في تحركاتها و حروبها اعتمادا على نصوص كوريبوس وكذلك بروكوبيوس في بلورة ما يمكن تسميته بنظرية الهجرات المشرقية نحو بلاد المغرب، وقد تتبع بعض المؤرخين أهم مراحل وخلفيات هذه الهجرات والتحركات نحو الغرب منذ التاريخ القديم حتى الفتوحات الإسلامية من خلال المصادر التي تقاطع فيها التاريخي بالأسطوري، (يوسف عيبش، 2009م، ص274–275)

تشغل حدود الجغرافية السياسية للملحمة كوريبوس من خلال المعارك والحروب التي خاضتها القبائل المحلية في إطارها الإجمالي في ثلاث ولايات كبري كانت تتداخل فيها سلطة ونفوذ هذه القبائل مع سلطة الإدارة البيزنطية وهي ولاية طرابلس و بيزاكيوم ونوميديا، ويمكن تحديد تواجد إمارات القبائل المحلية الكبرى في هذه الولايات بوضوح منذ نهاية العصر الوندالي . واستنادا لروايات بركوبيوس و كوريبوس فإن قبائل الجمالين قد توغلوا في ولاية بيزاكيوم من نهاية حكم الملك الوندالي تراسامونـد سنة 520م (ج. كامب، 2005م، ص 218–219) (ينظر خريطة رقم (2).

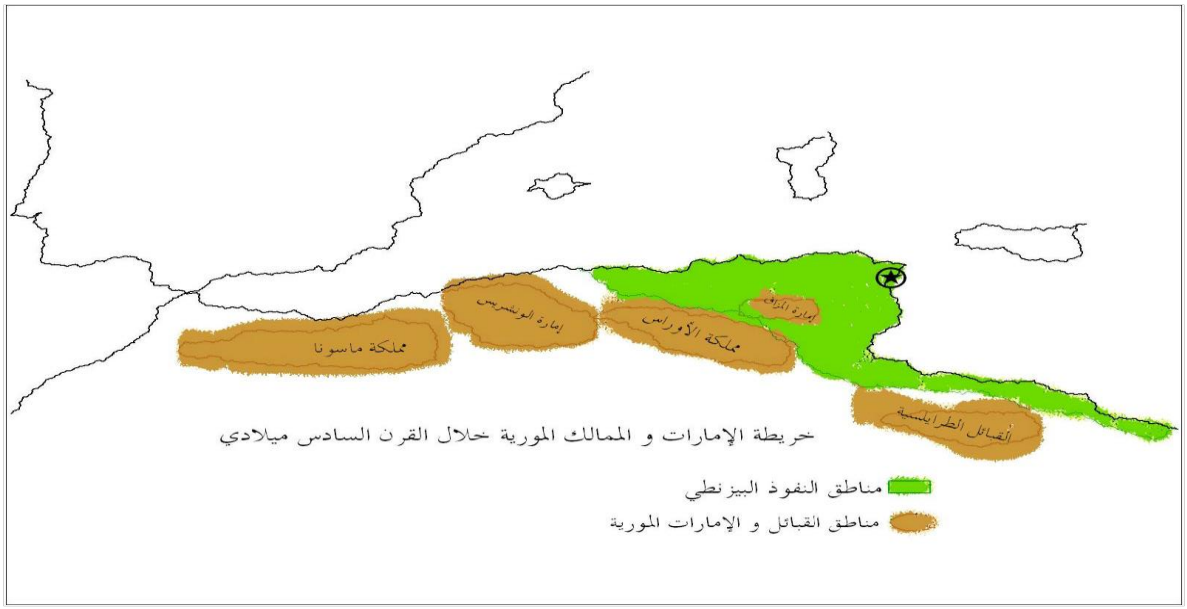

خريطة 2 إمارات وممالك القبائل المحلية في القرن السادس الميلادي(يوسف عيش،2009م ص 697).

وإذا كانت حروب القبائل المحلية مع الوندال ومن بعدهم البيزنطيين في ملحمة كوريبوس مع أهميتها، فإنها ليست المصادر الأدبي الوحيد، الذي يمكن الرجوع إليه دائما. فإن العديد من الروايات العربية عند الحديث عن حركة الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب تحاكي نفس الحروب والمعارك ضد البربر في طرابلس و بيزاكيوم (CAMPS, 1984,p.192) ولقد أشارت العديد من المصادر الأدبية في العصر الروماني إلى مثل هكذا حروب بين الرومان وهذه القبائل والتي انحصرت أوتكاد تنحصر في المناطق الداخلية من الولايات: طرابلس و بيزاكيوم ونوميديا التي هددت بانهيار الوجود الروماني برمته في كثير من الأحيان.

في الكتاب الثاني من الملحمة يتساءل كوريبوس في دهشة من يمكنه أن يعدد ويصف الأمم والقبائل والمعارك الكثيرة في هذه البلاد؟ تم يبدأ في عرض القبائل الليبية الكثيرة من فريكسيس ولواته وأستور وغيرها ويصف شجاعتها في الحرب وتحرك العديد منها إلى طرابلس، وعن القبائل الليبية القادمة من أقصى الشرق يشير كوريبوس قائلاً: " واندفعت قبائل باركاي (Barcae) بضراوتها المعهودة. لقد هجرت أراضيها وأخذت تستعد للزحف على أراضينا... هكذا عادت أعداد القبائل (Marmrican) التي نكبت بها أفريقيا أثناء الحرب" (كوريبوس، الملحمة، ص 45-51). وكثيرة هي النصوص التي يصف فيها كوريبوس القبائل الليبية من المارماريكان و المازاكس وهجرتها من أقصى الشرق إلى الغرب والمشاركة في حرب البيزنطيين غاية في الاستلاء على السهول الخصبة مدفوعة بعدائها الديني والعرقي للبيزنطيين(كوريبوس، الملحمة، ص 188،180،133،132،121).

ولعل مثل هذه الهجرات والتحركات الداخلية للقبائل الليبية من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال كانت مرتبطة دائماً بظروف وحيثيات سياسية واقتصادية تندرج تحت نظرية الصراع بين الوافد والمحلي إذ يذكر السيد د.ج. ماتينغلي أن كثيراً ما كتب عن أفريقيا الرومانية وعن وجود ذلك الصراع بين البدو والمستقرين، وتؤكد مثل تلك النظريات أن الرومان طردوا القبائل البدوية من الأرض الصالحة للزراعة، و أنشؤوا حدوداً لمنعهم من العودة إلى أراضيهم مرة أخرى، وهو ما رسخ قاعدة حرس الحدود بين المناطق المدنية والريفية الخاضعة للرومان ومناطق الدواخل والصحراء الخاضعة للقبائل الليبية (د.ج. ماتنيغلي، 2009م، ص 29-30)

وعن هدف القبائل الليبية من توجهها إلى الغرب والسيطرة على الأراضي التي يحكمها البيزنطيين فقد ذكرت نبوءة إحدى الكاهنات المتعلقة بالقائد كاركاسان –القادم من سرت– أنه: "في حرب مريرة ستوقع قبائل لواتة (Languantans) المنتصرة قوات اللاتين في فوضى واضطراب. ولسوف تحتفظ قبائل مازاكس (Mazax) للأبد بحقول بيزاكيوم (Byzacium) بقوتها العظيمة. ثم سيكون هناك سلام يحمل الرفاء بين طياته، كما أن القائد كاركاسان سوف يدخل قلعة قرطاجنة الشامخة من خلال بواباتها المشرعة، سيقود رجاله إلى وسط المدينة"(كوريبوس، الملحمة، ص133.)، ومع أن كاركاسان توجه إلى

شرق ليبيا إلى أرض المارماريكانس (Marmaricans) حيث مقر الإله آمون ذي القرون وطلب مشورة جوبيتر، وكذلك النبوءات التي انتشرت في أكثر من مكان بين الناس وصدقوها بما فيهم كاركاسان، فإن كوريبوس لا يخفي استغرابه وعدم إيمانه بهذه النبوءات الشريرة التي انطلت حتى على القائد كاركاسان، لكنه سرعان ما يعرض القوات الكبيرة التي أعدها هذا القائد وانضمت إليه، مستغرباً: من كان يستطيع حينذاك أن يعرف أسماء هذه القبائل؟ إضافة إلى أن تلك القبائل الهمجية بقيادة كاركاسان كانت بالفعل تتقدم نحو أسوار قرطاجة الشامخة (كوريبوس، الملحمة، ص132-136).

يعرض أوريك بايتس الكثير من القبائل الليبية التي شغلت المجال الجغرافي للولايات الليبية في الشرق والغرب والجنوب في العصر البيزنطي وهي على سبيل المثال لا الحصر: المازيكس والناسامونيس و المكاي ولواته و الأستورياني والجرامنت، ويتجاهل ذكر العديد من أسماء القبائل الليبية التي ذكرها بروكوبيوس لعدم وجود أدلة تشير إلى إذا ما كانت هذه القبائل قد سكنت شرق ليبيا أم غربها.(أوريك بايتس، 2015م، ص76-80)، وإن كانت الهجرات والتحركات الكبرى للقبائل الليبية تتجه من الشرق إلى الغرب، فإن بعض تلك التحركات كانت قد انطلقت من خليج سرت باتجاه قورينائية كما كان مع قبائل الأستورياني والناسامونيس، بل قبائل المازيكس كانت قد هاجمت مصر في نهاية القرن الرابع الميلادي وبداية القرن الخامس الميلادي حسب ما يشير سينيسيوس (للمزيد ينظر: مفتاح التاجوري،2021م، ص 38-42).

مقاومة القبائل الليبية للاحتلال البيزنطي عند كوريبوس:

لم يكن الشاعر الأفريقي كوريبوس استثناء في تقديم مبررات إعادة التحرير رغم النزعة المحلية الأفريقية التي تظهر في عدد من أبياته في تمجيد القبائل الليبية، فضلاً عن البيزنطيين من خلال كبار قادتهم العسكريين، وبخاصة القائد يوحنا توجليتا (John Troglita) الذي سميت الملحمة الشعرية باسمه "الجوهانيد"؛ فقد عرض كوريبوس نقمة الرب على الوندال، وتلاشي مملكتهم فيما يقصه القائد تروجليتا على ضباطه قائلاً: "لكم أتذكر جيداً أيها الرفاق أحوال أفريقيا عند وصولنا آنذاك عندما حل انتقام الله بهذه المملكة المتوحشة فقضى قضاء مبرماً على الطاغية الكريه، وعلى قبائل الوندال في السنة المائة من

حكمهم" (كوريبوس، الملحمة، ص 63-64)، وبعد فترة إعلان التحرير بسنوات استعرض كوريبوس أفضال الإمبراطور جستنيان في إعادة الأمن والاستقرار بعد عمليات السلب والنهب والحرب الأهلية التي ألمت بشمال أفريقيا؛ إذ كان له الفضل في رفع نير العبودية عن الشعب المنكود، مع التأكيد على سنوات التحرر والازدهار التي تزامنت مع إعلان التحرير: "هكذا تحررت بلادنا عشر سنوات كاملة، وازدهرت وعاشت في سعادة بالرغم من ظهور بعض المتمردين من وقت لآخر" (كوريبوس، الملحمة، ص 74-75)، تجدر الإشارة هنا إلى التأكيد على رمزية إعادة التحرير، وربطها بالإرادة الإلهية المناصرة للبيزنطيين في حربهم، ليس على الوندال في شمال أفريقيا فحسب، بل على الشعوب الجرمانية في غرب المتوسط في إيطاليا وإسبانيا، وهذه الرمزية تكررت عند المؤرخين القدامى المؤيدين لإعادة احتلال شمال أفريقيا أو من حذا حذوهم من الكتّاب المحدثين.

ومن خلال العرض السريع لمجريات الصراع الليبي البيزنطي والأسباب والمعارك وكذلك النتائج يظهر كوريبوس جلياً دور الدبلوماسية البيزنطية في إدارة الصراع في شمال أفريقيا واستخدام كافة الوسائل مع القبائل الليبية لإعادة الأمن والاستقرار (للمزيد ينظر: مفتاح التاجوري، 2009م، ص152-170).

من الواضح أن التعصب الديني للقبائل المحلية التي ظلت على وثنيتها ضد الوجود البيزنطي المسيحي كان سمة بارزة من سمات الحروب الطويلة التي خاضها الطرفان، إذ تتضح أهمية الدين -متمثلة في عبادة الإله آمون- في توحيد القبائل الليبية تحت ايديولوجيا واحدة ومقاومتها للوجود الروماني ومن بعده البيزنطي (د.ج. ماتينغلي، 2009م، ص 122).

ومع الحرب التي بدأت تخوضها القوات البيزنطية كثيراً ما أشير إلى عدالة قضية التحرير للشمال الأفريقي من نيرالوندال الأريوسيين عند بروكوبيوس، لكن عندما انتهت معارك "التحرير" البيزنطي وبعد سنوات قليلة ظهرت ثورات القبائل المحلية ونشأت قضية أخرى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقضية الأولى، وهي قضية التقوى والخير والإصلاح البيزنطي، حتى أنها ترددت كثيراً في نصوص ملحمة كوريبوس وأبياته لاسيما من خلال خطب الشخصية البطولية لهذه الملحمة وهو القائد يوحنا تروجليتا، حتى أن محمد الجراري لامس في مقدمته لتلك الملحمة التوجه العام لهذه القضية من خلال شغف المؤلف "الشاعر" بالتضاد، وبيان التطرف في النقائض: الخير والشر، القوة والضعف، والشجاعة والجبن، ولتحقيق هذه الغاية تنتفي صفات الأفراد الشخصية ويتحولون إلى رموز لتناقضات أخلاقية وجسدية، فالمقارنة بين الليبي أو المغربي والبيزنطي هي مقارنة بين الشر المطلق والخير المطلق بغض النظر عن الفروق

الفردية. (كوريبوس، الملحمة، ص 17–19)، وفي مواضع كثيرة يشير كوريبوس صراحة إلى عدالة القضية التي تخوضها القوات البيزنطية في شمال أفريقيا، وفي الوقت الذي يستهل كوريبوس ملحمته بالثناء وإضفاء الهيبة على الإمبراطور جستنيان ويلهج بمديحه، يذكر ما آلت إليه الأوضاع في الولاية البيزنطية الجديدة التي وصف حالها المتدهور بقوله: "إن أفريقيا ثلث العالم كانت تغني وسط اللهيب والدخان"(كوريبوس، الملحمة، ص 24–25) إلى أن يسوق كوريبوس محاولات الإمبراطور جستنيان إعادة الأمور إلى نصابها ومن خلال خطابه الموجه إلى قائده تروجليتا، "والآن استمع إلي لتعرف أسباب تصرفاتي واجعلها في خاطرك على الدوام، إن أفريقيا المسكينة ترزح تحت وطأة الكثير من الأخطار ويتردد صدى صرخاتها في مسمعي، والواجب يدفعني إلى مد يد العون لهذه الأرض المنكوبة، لقد اتخذت قراري أيها القائد الشجاع: فأنت قادر على معالجة الأمور في ليبيا. هلم بتحريك جيوشك وأعلامك وسارع إلى السفن وعندما تصل عليك أن ترفع الغبن عن أفريقيا بما عرف عنك من شجاعة وأخضع بسلاحك المتمردين من اللواتيين (Mattingly,1983, pp.96–108) ... حرر المنكوبين ودمر المتمردين، إن هذه مشيئتنا السامية: ألا تقتل من يستسلم، وهذه ذروة شجاعتنا، وأن تخضع القبائل المتمردة المغرورة"(كوريبوس، الملحمة، ص27–28).

جاءت الحملة التي أرسلها الإمبراطور جستنيان بالجنود والمؤن والسلاح تحت قيادة يوحنا تروجليتا في سنة 546م كبيرة الشبه بتلك الحملة البيزنطية للاحتلال في سنة 533م تحت قيادة بليزاريوس، وذلك من حيث تحركات الأسطول حتى وصوله إلى شمال أفريقيا والأخطار التي واجهت هذه القوات في عرض البحر، لكن التشابه النصي في كتابات بروكوبيوس و كوريبوس يكمن بدرجة كبيرة في لغة الخطابات التي ألقاها كل من بليزاريوس و تروجليتا، وهي التي كانت مفعمة بالتضرع للرب أو للمسيح والدعاء لنصرته، والتأكيد على منظومة الأخلاق والحقوق التي يحظى بها القادة والجنود البيزنطيون أمام تلك القبائل الشريرة و المتبربرة، في نهاية الكتاب الرابع للملحمة وفي أتون الحرب والصراع المحتدم بين الليبيين والبيزنطيين يحدد كوريبوس الخطط التي رسمها القائد أنتالاس للمعركة مع تقسيم الأدوار وتحديد المهام للزعماء القبائل الليبية الذين ذكر أسماءهم وصل عددهم إلى خمسة عشر زعيما ليبيا (كوريبوس، الملحمة، ص 103–104).

على أية حال، فإن النقص الشديد في المصادر هو ما دفع بالمؤرخين، إما إلى التزام الصمت على سبيل الحيطة، وإما إلى تقديم سلسلة من الفرضيات المثيرة للدهشة حول هذه الفترة الزمنية، حتى أن

الاعتماد على النصوص التاريخية يكاد ينحصر في كتابات بروكوبيوس و كوريبوس(Camps, 1984, pp.183-213)، على أن الشاعر كوريبوس بوصفه رومانياً أفريقياً من إحدى المدن الأفريقية، فهو يعرف الكثير عن سكان الشمال الأفريقي أكثر مما يعرفه بروكوبيوس(Cameron2005, p. 177) الذي لم يذكر إلا قبيلة ليبية واحدة بهذا الاسم، أما كوريبوس فيعد المصدر الرئيس للتعرّف على تنظيمات البربر وعاداتهم، وذلك من خلال التفاصيل الاثنوغرافية و التوبوغرافية الكثيرة والدقيقة، وهي ما تجعل أهمية ملحمته تكمن في إظهار الشاعر على أنه ممثل للثقافة الأفريقية "اللاتينية" في عصره، والخبير بأحوال البربر وتقاليدهم ومن ثم تسجل موقفه من الاحتلال البيزنطي(Cameron, 1996, pp.12-13)، والذي بالرغم من تحيزه الواضح للسلطة البيزنطية فإن و طنيته – أو انتمائه الأفريقي – يظهر جلياً في كثير من المواضع، لاسيما عند تأكيده على أن كل القبائل الليبية قد اتحدت لمحاربة الأجانب البيزنطيين(كوريبوس، الملحمة، ص 19).

تأتي الملحمة الشعرية لكوريبوس لترسيخ أحقية الإمبراطورية البيزنطية في إيجاد المبررات والدوافع المناسبة لإخضاع ثورات القبائل المحلية ما بين عامي 546-548م، متجسدة في شخصية بطل الملحمة القائد يوحنا تروجليتا، وفي استحضار الذاكرة التاريخية لقبائل الشمال الأفريقي قبل هذه الفترة (Kern, 2007 , pp. 97-98)، لاسيما لتسطر أمجاد هذه القبائل وخاصة قبيلة لواتة التي جرى على لسان قادتها في هذه الملحمة افتخارهم ببطولاتهم وهيبة قبيلتهم منذ زمن ماكسيميان (كوريبوس، الملحمة، ص174،40).

كانت قضية البيزنطيين بحاجة ملحة لتقدم تبريراً لها أمام الأفارقة المسيحيين الذين لمسوا فائدة قيام البيزنطيين بتحريرهم، وأصبحت الآن مدنهم تعاني الكثير بعد تحولها إلى ساحات قتال بين الجيوش البيزنطية وقوات القبائل المحلية، ولذلك سنحت الفرصة لملحمة الشاعر كوريبوس التي حفلت بالمديح والإطراء للبيزنطيين باللغة اللاتينية التي يتحدث بها سكان المنطقة من الأفارقة، وكانت جهود القائد تروجليتا موجهة لهم، ومن المناسب أن نفترض أن كوريبوس قد ألم جيداً بأخبار البيزنطيين، إضافة إلى إلمامه بتفاصيل أكثر عن الحملات العسكرية البيزنطية، فقد أقام الدليل على اطلاعه العميق على الإنجازات العسكرية التي قام بها تروجليتا على الحدود الشرقية مع بيزنطة (Cameron, 1996, p.172).

كثيرة هي المواضع التي جاءت في ملحمة كوريبوس وكانت تهدف لتحقيق هدفين يسيران في اتجاهين متوازيين، وهما: التأكيد على الفضيلة الرومانية وسمت أخلاق القادة الرومان وشجاعتهم من جهة، والخطاب الديني العام الذي يظهر فضل الديانة المسيحية ومكانتها على غيرها من الديانات وبخاصة الوثنية . ديانة القبائل الليبية . من جهة أخرى.

ومن ذلك ما جاء على لسان القائد ريكيناروس (Recinarius) أحد مساعدي القائد تروجليتا محذراً أستور (Austur) أحد قادة القبائل الليبية والقبائل المتحالفة معه: "إن الرومان لن يسارعوا بشن الحرب على أية قبيلة إن هي أمسكت عن القتال وسعت إلى عقد معاهدة والتمست العفو والسلام... إنكم تعرفون مهما كثر عددكم مدى بأس الرومان، وكم يتصف حكامهم بالكرم والخير والفضيلة... أولم تكونوا على الدوام رعايانا المخلصين، وكنتم تفرحون لانتصاراتنا وتخضعون لنا كما ينبغي لكم... هل تظن أن أية قبائل قادرة على إلحاق الهزيمة بالجيوش الرومانية"؟(كوريبوس، الملحمة ، ص58) وعن هيبة الجندي الروماني ومكانة روما "تعاظمت أمجاد الإمبراطورية الرومانية، واستطاعت أمتنا التي طالما أخضعت الدول وأطفأت نار الحرب أن تحكم العالم بأسره. إن الجندي الروماني لا يخشى الرجال المسلحين، كما أنه لا يول الأدبار خوفاً من جنود الأعداء مهما كانت أعدادهم...؛ ذلك أن الأقدار تحب روما ومن أجلها حطمت، بل محت من الوجود الكثيرين من المذنبين. ومنحت الفرصة والسعادة لمملكتنا"(كوريبوس، الملحمة، ص58،96.)، وفي مقابل الانحراف الذي ينسبه كوريبوس للقيم "البربرية" للقبائل الليبية، وما فيها من سوء وسلبية، تأتي القيم البيزنطية الأصيلة "الرومانية" – لاسيما في زمن الإمبراطور جستنيان– كمثال للقيم الفاضلة، وقد عنى كوريبوس بإجراء مقارنة بين هذه القيم الرومانية، والقيم المقابلة للقبائل المحلية، وربما بالغ في هذه المقارنة بين البيزنطيين والليبيين حول منظومة القيم والأخلاق الفاضلة .(Nsiri,2012,p.228)

إن كوريبوس يعمل على تكرار الكلمات الأساسية والمفاهيم والأفكار الخاصة بالملحمة، ففي الوقت الذي نجد فيه أن الكلمة الأساسية التي يكررها مع ذكر البيزنطيين هي كلمة "أتقياء" نجده يكرر كلمة "خيانة أو غدر" مع ذكر البربر (Cameron, 1996, p.173.). وهذا توجه عام في غالب الأبيات الشعرية التي صاغها كوريبوس لترسيخ أحقية الحرب التي كانت تخوضها القوات البيزنطية من خلال إلصاق قيم السوء والشرور وأخلاقها بالقبائل المحلية، للتأكيد على فضيلة البيزنطيين وأخلاقهم وفقاً للمفاهيم الرومانية والمسيحية كذلك (Kern, 2007, p.98). وحقيقة الأمر أن كوريبوس كان يكتب

بوعي بهدف ألا يكسب ود الحكام البيزنطيين فحسب، بل كذلك ليقنع الأهالي المحليين "المترومنين" بالقضية البيزنطية، وقد اشتدت الحاجة ليس إلى الإقناع والتبرير للموقف العسكري فقط، بل للمساعدة في تقبل محاولات جستنيان لفرض الأرثوذكسية الشرقية، ولذا قدمت القضية البيزنطية بمفهومي الفضيلة والتقوى دون سواهما (Cameron, 1996, p.16).

هناك بعض النصوص المسيحية الطابع أو ما يمكن أن نسميها بـ "النص المسيحي" في ملحمة كوريبوس، التي تكاد تنحصر في التضرع للرب لطلب العون والنصر على القبائل الوثنية، لاسيما في جملة خطب القادة البيزنطيين وبخاصة القائد تروجليتا، ومع حالة الفوضى والمآسي التي مرت بها الولاية الأفريقية بسبب ثورات القبائل المحلية "الوثنية"؛ فإن نصوص كوريبوس منذ بدايتها وحتى نهايتها تقود إلى النهاية الإيجابية للنصر البيزنطي على الليبيين(Kern, 2007, p.101.)، ويقوم كوريبوس بتقديم نجاح البيزنطيين على أنه تنفيذ الإرادة الإلهية، وتمثيل النصر العسكري على أنه مكافأة على تقوى البيزنطيين، مؤكداً على ترسيخ قاعدة التضاد والندية بين البيزنطيين الأتقياء وقبائل البربر الشريرة التي اتسمت بالتطرف الحاد وذلك في عرضه للبربر في ملحمته، وليتأتى تأكيد الفكرة الرئيسة لانتصار البيزنطيين عند كوريبوس من خلال تقواهم والتزامهم بالأخلاق الفاضلة، وتأييد الإرادة الإلهية المقدسة ومساندتها(Cameron, 1996, p.173-174)، جاء ذكر القائمة المشهورة لمجمع " الآلهة المورية " في ملحمة كوريبوس لتمثل أهمية لا غنى عنها في حقل الدراسات الدينية ومعتقدات وآلهة القبائل الليبية ، ومن ثم لا يمكن المرور عليها مرور الكرام، كما أن هذه الملحمة تعد بمثابة مصدر تاريخي لأحداث سياسية واجتماعية ودينية، جاءت في ثنايا نصوص وأبيات ملحمة شعرية قد تنحو في كثير من فصولها إلى المبالغة والأساطير(Nsiri, 2012, p.235.)، وقد تضمنت هذه القائمة الإلهين المهمين في أواخر العصر البيزنطي بالمنطقة، وهما الإله آمون وأحد ذريته وهو الإله قورزيل الذي كان له دوراً بارزاً في حروب قبيلة لواتة مع القوات البيزنطية في القرن السادس الميلادي، ومن الجدير بالذكر أن آيرنا (Ierna) القائد الأعلى لهذه القبيلة في عام 546م كان في الوقت نفسه كاهناً أكبر للإله قورزيل(د. ج. ماتينغلي، 2009، ص499)، لكن هناك مجموعة من العناصر التي يمكن رصدها في الإله قورزيل؛ حيث يظهر دوماً في صورة الإله الذي يتدخل في الصراعات والحروب، وبالتالي يمكن القول أن وظائف قورزيل كانت تقوم على وظيفة السيادة، وظيفة الخصوبة، وظيفة المحارب (Nsiri, 2012, p.237).

إن كوريبوس لا يقدم أي تلميحات عن أهداف سياسة البيزنطيين الاستراتيجية لتحويل البربر إلى المسيحية – وهو ربما خلافاً لتوجه بروكوبيوس – ولكنهم ظلوا عاجزين عن تحقيق ذلك الهدف بشكل تام، ولذا فقد فرضت عليه الضرورة تصوير البربر وثنيين على نحو راسخ، ومن الطبيعي إذا كان البيزنطيون قد قدر لهم أن يُصوروا كنماذج مثالية للفضيلة المسيحية فإن أعداءهم يجب أن يكونوا وثنيين معاندين مسترسلين في الإثم(Cameron, 1996, p. 173)، بل إن كوريبوس يصف الآلهة الليبية بأنها سبب بلائهم و خداعهم بقوله: "إن هذه الآلهة الشريرة تخدع هذه القبائل التعسة التي تؤمن بها"، كما يذكر كوريبوس في الأسطر الأخيرة من ملحمته هزيمة القبائل الليبية الوثنية، قائلاً: "واندفع الرجال (البيزنطيون) وأخذوا يعملون التقتيل في جنود مارماريكا (Marmaricans) الوثنيين هنا وهناك. وهزمت قبائل لواتة (Illasguas) ودفعت الثمن غالياً، أما صفوف قبائل افوراكاس (Ifuracas)، و فريكسيس (Frexes)، و نافور (Naffar) وقد سلمت أعناقها للسيوف، ولاذ بعضهم بالفرار يلاحقهم عقاب الجند الرومان"(كوريبوس، الملحمة، ص160، 200).

الخاتمة.

يمكن حصر ما توصل إليه الباحث من نتائج في خاتمة هذا البحث على النحو الاتي:

1 – تعد ملحمة كوريبوس مصدراً أدبياً وتاريخياً لا غنى عنها في حقل الدراسات البيزنطية لبلاد المغرب.

2– على الرغم مما تحويه الكثير من أبيات هذه الملحمة في جانبها الشعري والقصصي من العرض الخيالي الذي لا يمت للحقيقة بصلة، لكن المادة التاريخية التي انفرد بها الشاعر كوريبوس من أسماء القبائل الليبية الكثيرة جداً وعاداتها وتقاليدها يعد مادة اخبارية لسد لتلك الفجوة المصدرية تلك القبائل وذلك العصر.

3– إن المقاربات والمقارنات التي أجريت على ملحمة الحرب الليبية الرومانية مع المصادر التاريخية منذ ما قبل العصر الوندالي مثل نصوص سينيسيوس القوريني واميانوس وكتابات المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس حول الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية يجعل الكثير مما جاءت به هذه الملحمة وفي موضوعات محددة يمكن الركون إليه في ظل غياب المصادر الموثوقة عن تلك الفترة.

4– تطرح الملحمة الكثير من التساؤلات عن ماهية الوجود البيزنطي الجديد في بلاد المغرب، وتلامس حياة السكان المحليين اليومية وعاداتهم ونشاطهم الاقتصادي فضلاً عن معتقدهم الديني.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية والأجنبية

1- كوريبوس، (1988) ملحمة الحرب الليبية الرومانية أو مقاومة قبائل المغرب العربي للاستعمار الروماني، ترجمة محمد الطاهر الحراري، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس.

2- Herodotu, (1971) The Histories, vol. 2. book 4, trans. A. D. Godley, The Loeb Classical Library, London.

3- Procopius, (1960) Anecdota or Secret History, vol.6, trans. H. B. Dewing, The Loeb Classical Library, London.

4- Procopius, (1968)History of the Wars, vol. 2, books 3-4, trans. H. B. Dewing, The Loeb Classical Library, London.

ثانياً: المراجع العربية والأجنبية

1. اصطفيان أكصيل، (2007) تاريخ شمال أفريقيا القديم، ترجمة: محمد التازي سعود، ج4-6، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط.

2. أوريك بايتس، (2015) الليبيون الشرقيون، ترجمة محمد اومادي ومروة شحاتة، الطبعة الأولى، دار الفرجاني، طرابلس ليبيا.

3. ج. كامب، (2005) أصول السكان في ليبيا آراء غربية: البربر الذاكرة والهوية، ترجمة: عزوز الطلحي، ج1، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

4. د.ج. ماتينغلي، (2009) منطقة طرابلس في العهد الروماني، ترجمة: محمد الطاهر الجراري، محمد عبد الهادي حيدر، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس.

5. عبد القادر أحمد اليوسف، (1966) الإمبراطورية البيزنطية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان .

6. عفراء علي الخطيب، (2003) "التواصل الثقافي عبر الصحراء الكبرى خلال العصور القديمة: عبادة الكواكب نموذجاً"، الصحراء صلة بين الشعوب والثقافات، فعاليات الملتقى المنتظم بدوز (19-22 ديسمبر 2002)، منشورات المتوسط، تونس، ص 39-60 .

7. محمد الطاهر الجراري (1982) "موقف القبائل الليبية من الحكم الروماني"، مجلة الثقافة العربية، العدد السابع، السنة التاسعة، ص 71-5.

8. مفتاح محمد التاجوري (2021) " أحوال إقليم قورينائية من خلال رسائل سينيسيوس القوريني 370م-413م" مجلة العلوم الإنسانية لكلية الآداب الجامعة الأسمرية، العدد (35) .

9. مفتاح محمد التاجوري، (2009) التاريخ السياسي والاقتصادي لشمال أفريقيا أثناء حكم الإمبراطور جستنيان (527-565م)، ط1، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس.

10. موريس لومبارد، (1979) الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق.

11. يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب: دراسة للأوضاع الاجتماعية الاقتصادية(2009)، الطبعة الأولى، دار بهاء الدين، الجزائر.

12.Cameron, A., (1996)"Byzantine Africa: The Literary evidence", in: Changing Cultures in Early Byzantium, Variorum Collected Studies Series 536, pp.1-51.
13.Cameron, A., (1996) "Corippus, Iohannis: Epic of Byzantine Africa", in: Changing Cultures in Early Byzantium, Variorum Collected Studies Series 536, pp.167- 80.
14.Cameron, A., (2005) Procopius and the Sixth Century, London.
15.Camps, G., (1984)"Rex gentium Maurorum et Romanorum. Recherches sur les royaumes de Maurétanie des VI et VII Siècles", Antiquités Africaines 20, pp.183-218.
16.Conant, J. P., (2004) Staying Roman: Vandals, Moors, and Byzantines in Late Antique North Africa, 400-700, Ph.D. Thesis, Harvard University.
17.Jerary, M. T., (1988)The Luwata: Prolegomena, Source Book and Preliminary Study, Ph.D. Thesis, University of Wisconsin – Madison, 1976, (Libyan Studies Center.
18.Kern, É., (2007)"Non ignota Cano: histoire et mémoire dans “la dernière epopée romaine” la Johannide de Corippe", Schedae 1, pp. 97-106.
19.Mattingly, D. J., (1983)"The Laguatan: A Libyan Tribal Confederation in the Late Roman Empire", Libyan Studies 14, pp. 96-108.
20.Moderan, Y., (1991)"Les premiers raids des tribus shariennes en Afrique et la

Johannide de Corippus", in: Les Actes du IV Colloque international, d'Histoire et d'archéologie de l'Afrique du Nord (Strasbourg 1988), Paris, pp.479-490.

21. Nsiri, M.A., (2012) Du Paganisme au Christianisme: Recherche sur la Religion des tribus Africaines durant l'Antiquité tardiue, MA. Thesis, University of Tunis.
22. Vasiliev, A. A.,(1973) History of the Byzantine Empire 324-1453, vol.1, Madison.

THE MOVEMENT OF THE LIBYAN TRIBES AND THEIR RESISTANCE TO THE BYZANTINE OCCUPATION IN NORTH AFRICA THROUGH THE EPIC OF THE LIBYAN-ROMAN WAR BY THE POET CORIPUS

Dr. Muftah Mohammed Altajori

Department of History Faculty of Arts, Al Asmariya Islamic University, Libya

Abstract

This research aims to re-study and distribute the movement of the Libyan tribes in the Byzantine era, through the large geographical area controlled by these tribes from the Nile Valley in the east to the Tunisian interior in the west. The importance of studying the movement and migrations of the Libyan tribes also lies in shedding light on the state of the great clash between them and The Byzantine occupation continued its long wars with these tribes, especially in the first years of its presence in North Africa. The epic of the Libyan-Roman (Byzantine) war by the African poet Corybus is considered one of the most important Byzantine sources for studying the Libyan tribes, their customs and traditions, as well as their long conflict with the Byzantine forces in the middle of the sixth century AD. The analytical narrative approach will be relied upon in presenting the history of the movements of the Libyan tribes and their repeated migrations east and west and to the interior regions deep into the desert, in addition to comparing the texts of this poetic epic with other Byzantine sources.

Keywords: Libyan tribes, Byzantine occupation, migrations, coribus